توجيهات نبوية
في
الأمثال الحديثية

تأليف الدكتور
محمود عبدالوهاب عبدالحفيظ رحمة
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بكلية أصول الدين – القاهرة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد النبي الأمّيّ وعلى آله الطيبين الطاهرين وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب .

وبعد :

فإن للأمثال عند العرب مكانة سامية ، و هي نوع من التشبيه كما سيتّضح ذلك قريبا ، ولا يخفى ما في التشبيه من بلاغة وفصاحة وبيان ، وإن كان بينهما عموم وخصوص فكل تمثيل تشبيه ولا عكس .

و بهما يحمل المجهول على المعلوم ، والمعنوي على المحس .

ومعلوم أن المشبه به أوضح في الدلالة على المعنى المراد من المشبه ، كما هو مقرر عند علماء البيان .

ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل في القرآن مبينا حكمته سبحانه من ذلك ، فقد قال جل شأنه : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر آية٢٧

ولكي تتضح الأمور الشرعية بجلاء ووضوح لا لبس فيه ، ولتتمكن المعاني المرادة أيما تمكن ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أمثالا تقريبا للأذهان وإتماما للبيان ، ولن نبعد النجعة إذا قلنا : إن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو للبيان ، كما أشار إليه سبحانه في قوله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل آية ٤٤ .

ولقد ذكر الرامهرمزي نوع اختلاف بين الأمثال الثبوية والأمثال عند العرب

فقال :

الأمثال المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم هي على خلاف ما رويناه من كلامه المشاكل للأمثال المذكورة عند متقدمي العرب ، فإن تلك ــ أي الأمثال عند العرب ــ مواقع الإفهام باللفظ الموجز ، وهذه ــ أي الأمثال النبوية ــ بيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل التي وعد الله عز وجل بها وأوعد ، وحرّم وأحل ، ورجّى وخوّف ، وقرّع بها المشركين وجعلها موعظة وتذكيرا ، وبشر بها المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، (

وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم آية ٢٧ .

وذكر الرامهرمزي بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل .

وفي هذا البحث سأتناول نماذج من الأحاديث التي اشتملت على الأمثال معلقا عليها تعليقا خفيفا أبين الغاية المرجوة والمقصودة من هذا المثل ، البسيط في تعبيره ، والقريب في فهمه ، مع جزالة لفظه ، ورصانة أسوبه ، وقوة بيانه وأسميته ــ توجيهات نبوية في الأمثال الحديثية ــ .

فما أروع السنة النبوية ، وما أفصح صاحبها مع أميته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لي الفرصة لاستقصاء الأمثلة في مؤلف جامع ، عساني ألقى الله تعالى ، وقد تركت علما ينتفع به ، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

كتبه

الدكتور / محمود عبد الوهاب عبد الحفيظ رحمة

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة

تمهيد

قبل أن أذكر نماذج من الأمثال في الحديث النبوي الشريف أرى أنه من الحكمة أن أذكر معنى المثل في اللغة والاصطلاح ، وفوائده التي من أجلها يضرب المثل ، والفرق بين مورده ومضربه ، وهل ما جاء في السنة النبوية من قبيل المثل عند العرب أم من قبيل التشبيه والتمثيل ، والمقارنة بين الحكمة والمثل ، بإيجاز غير مخل بالمراد ، ولا إطناب يجعلني عن المقصود نادٌّ ، هداني الله وإياكم سبل الرشاد ، فأقول وبالله التوفيق .

معنى المثل في اللغة

قال ابن منظور في مادة مثل

مثل : مِثل : كلمةُ تَسْوِيَة .

يقال: هذا مِثْله و مَثَله ، كما يقال شِبْهه وشَبَهُهُ أي أنهما بمعنى واحد ؛

= و المِثْل: الشَّبَه. يقال: مِثْل و مَثَل وشِبْه وشَبَه بمعنى واحد ؛

وقوله تعالى : (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) البقرة آية ١٣٧

قال أبو إسحق : إن قال قائل ، وهل للإيمان مِثْل هو غير الإيمان ؟

قيل له : المعنى واضح بيِّن ، وتأويلُه إن أتَوْا بتصديق مِثْل تصديقكم في إيمانكم بالأنبياء وتصديقكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا أي قد صاروا مسلمين مثلكم .

وفي حديث المِقْدام : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(ألا إنِّي أُوتيتُ الكتاب و مِثْله معه)

قال ابن الأثير: يحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : أنه أُوتِيَ من الوَحْي الباطِن غيرِ المَتْلُوّ مثل ما أُعْطِيَ من الظاهر المَتْلُوّ .

والثاني : أنه أُوتي الكتاب وَحْياً وأُوتي من البيان مثلَه ، أي أُذِنَ له أن يبيِّن ما في الكتاب فيَعُمَّ ويَخُصَّ ، ويَزيد ويَنقُص ، فيكون في وُجوب العمَل به ، ولزوم قبوله كالظاهِر المَتْلُوّ من القرآن .

= والمَثَلُ والمَثِيلُ: كالمِثْل ، والجمع أَمْثالٌ ، وهما يَتَماثَلانِ؛

والمَثَلُ: الحديثُ نفسُه .

وقوله عزّوجل: (وله المَثَلُ الأَعلى) الروم آية ٢٧

جاء في التفسير : أنه قَولُ لا إله إلاّ الله ، وتأويلُه أن الله أمَر بالتوحيد ونفى كل إله سواهُ .

= والأمثالَ و المَثَلُ : الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مثلَه.

وفي الصحاح : ما يُضرَب به من الأمثال .

قال الجوهري : و مَثَلُ الشيء أيضاً صفته .

قال ابن سيده : وقوله عز من قائل:

(مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقون) الرعد آية ٣٥

قال الليث : مَثَلُها هو الخبر عنها .

وقال أبو إسحق : معناه صفة الجنة .

وردّ ذلك أبو علي فقال : إنّ المَثَلَ بمعنى الصفة غير معروف في كلام العرب ، إنما معناه التمْثيل .

ويقال: مَثَلُ زيد مَثَلُ فلان ، إنما المَثَل مأخوذ من المِثال والحَذْو، وأما الصفة من التحلية والنعت ــ وليس هذا مرادا ــ .

ويقال: تمثَّل فلانٌ ضرب مَثَلاً، و تَمَثَّل بالشيء ضربه مَثَلاً.

وفي محكم التنزيل قال تعالى :

(يا أيُّها الناسُ ضُرِبَ مَثَل فاستَمعوا له) الحج آية ٧٣

وذلك أنهم عَبَدُوا من دون الله ما لا يَسْمَع ولا يُبصِر وما لم تنزل به حُجَّة ، فأعلم الله الجواب مما جعلوه له مَثَلا ونِدًّا فقال:

(إنَّ الذين تَدْعُونَ من دون الله لن يخلُقوا ذُباباً) يقول: كيف تكونُ هذه الأصنامُ أندادا و أمثالا وهي لا تخلق أضعف شيء مما خلق الله، ولو اجتمعوا كلهم له ، وإن يَسْلُبْهُمُ الذبابُ الضعيفُ شيئا لم يخلصوا المَسْلوبَ منه ، ثم قال: (ضَعُفَ الطالبُ والمَطْلوبُ) الحج آية ٧٣

= وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرة ؛ ومنه قوله عزوجل: (فجعلناهم سَلَفا و مَثَلا للآخرين) الزخرف آية ٥٦

فمعنى السَّلَف أنا جعلناهم متقدّمين يَتَّعِظُ بهم الغابِرُون ،

ومعنى قوله : (و مَثَلاً) أي عِبْرة يعتبر بها المتأخرون ،

= ويكون المَثَل بمعنى الآية ؛ قال الله عزوجل في صفة عيسى ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: (وجعلناه مَثَلاً لبني إسرائيل) أي آية تدل على نبُوّته .

وأما قوله عزّوجل : (ولَمَّا ضُرِبَ ابنُ مريم مثلاً إذا قومُك منه

يَصُدُّونَ) الزخرف آية ٥٧

جاء في التفسير أن كفارَ قريش خاصَمَت النبيَّ ، فلما قيل لهم: (إنكم وما تعبُدون من دون الله حَصَبُ جهنَم) ، قالوا: قد رَضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى والملائكة الذين عبدوا من دون الله ، فهذا معنى ضَرْب المَثَل بعيسى .

= و المِثال: المقدارُ وهو من الشَّبْه ، و المِثْل: ما جُعل مثالاً أي مقدارا لغيرِه يُحْذى عليه ، والجمع المُثُل وثلاثة أمْثِلة، ومنه أمْثِلة الأفعال والأسماء في باب التصريف.

= والمِثال: القالبُ الذي يقدَّر على مثْله .

= والأمْثال: أرَضُون ذات جبال يشبه بعضُها بعضاً ولذلك سميت أمْثالاً وهي من البَصرة على بُعْد ليلتين .

قال ابن بري : الفرق بين المُماثلة ، والمُساواة أن المُساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المُماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوه وفقهُه كفقهه ، ولونه كلونه ، وطعمُه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدُّ مسدَّه، وإذا قيل: هو مثله في كذا أي هو مُساو له في جهة دون جهة ومما سبق يتضح أن المثل يكون في المحسوسات كما يكون في المعنويات . أهـ *

وقال ابن فارس :

= المَثَل: هو السائر من أمثال العرب .

= والمثل : أي النظير والشبيه . **

قال الدكتور/ علي محمد حسن العماري في كتابه ***

= والمَثَل: قول موجز سائر ، يشبه فيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله.

---

* لسان العرب / ج ٥ ص٤١٣٣ ط دار المعارف
لسان العرب / نشر شركة العريس للكمبيوتر / القرص الممغنط المضغوط جامع معاجم اللغة

** راجع مجمل اللغة لابن فارس اللغوي ج١ ص٨٢٣ باب الميم والثاء وما يثلثهما

***أسرار البيان : مبحث الاستعارة التمثيلية ص ١٧٣ ط الشركة المصرية للنشر العربي والدولي .

المثل في الاصطلاح :

ما يسوقه المتكلم للمخاطب من الكلام المشهور للقياس عليه .

أو هو ذكر حال سابق للقياس عليه في حال مطابق لجهة جامعة بينهما

والغرض من المثل كالغرض من التشبيه .

وقد قال علماء البلاغة : ومن الأغراض الأصلية في التشبيه : قصد الإيضاح والبيان ، وتقريب الصورة للأذهان ، وذلك بإخراج المبهم إلى الموضح ، والملتبس إلى المبين ، وحمل المجهول إلى المعلوم ، والمعنوي إلى المحس .

وقد يرد سؤال مؤداه : ما الذي يجعل التشبيه حسنا ؟

وللجواب نقول : الأصل في حسن التمثيل والتشبيه : أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ، بما يقتضيه حال المخاطب ، إذ لا يخاطب العالم بما يخاطب به الجاهل ، ولا المصدق بما يخاطب به المنكر ، فلكل مقام مقال ولكل حال مقتضاه ، اللهم إلا إذا أوردنا المثل على خلاف مقتضى الظاهر لعلة ، كتنزيل العالم منزلة الجاهل استهزاء واستهانة ، إلى غير ذلك مما هو مقرر في كتب البلاغة

مورد المثل ومضربه

قال علماء البلاغة : إن لكل مثل موردا ، ومضربا .

ومورد المثل : هو الحال القديمة التي قيل فيها لأول مرة .

ومضرب المثل : هو الحال الجديدة التي استعير لها وذكر فيها .

وتارة تكون الأمثال نثرا وتارة تكون شعرا .

والمثل لا يتغير بل يضرب كما ورد سواء كان الغرض منه بيان حال مفرد أو جماعة ، وسواء كان مضربه لمفرد ، ومورده لجماعة .

فمن الأقوال المشهورة عند علماء البلاغة : (الأمثال لا تُغير) ، بمعنى أنها إن وردت بصيغة المفرد ــ مثلا ــ فإنها تضرب ، للمفرد ، والمثنى، والجمع ، بنفس الصيغة التي ورد بها .

ولما كان المَثَل بمعنى الشَبَه ، والمثْل بمعنى الشَبْه لزم علينا بيان معنى التشبيه لا سيما وأن ما ورد في الحَديث النبوي هو نوع من التشبيه ــ وهو التشبيه التمثيلي ــ فما معنى التشبيه ؟ وللجواب نقول :

التشبيه في اللغة : التمثيل

وفي اصطلاح علماء البيان : الدلالة على مشاركة أمر بآخر في معنى .

هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد ، والنور في الشمس .

فالأمر الأول : هو المشبه .

والثاني : هو المشبه به.

وذلك المعنى هو وجه التشبيه.

ولابد في التشبيه من أداة وغرض.

ويأتي كل من المشبه ، والمشبه به : مفرد ، ومركب

والمفرد على حالين : مطلق ، ومقيد .

فالتشبيه المفرد غير المقيد نحو : محمد كالأسد

ومن ذلك قول كعب بن زهير في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ومعنى المقيد : أن يكون الطرف مفردا ، ولكنه قيد بقيد ، فالقيد ليس جزءا أساسيا في التشبيه ، وإنما هو تابع للطرف المقيد به ، ومع هذا فالقيد داخل في الهيئة عند استخراج وجه الشبه .

أما التشبيه في المركب فكل جزء معتبر أصلا ، ويتبين ذلك من إمعان النظر ومثاله ، قول الشاعر :

كأن الناس حين تغيب عنهم نبات الأرض أخطأه القطار

فالقيد هنا واضح في المشبه وهو الناس المقيدين بغيبة الممدوح ، وفي المشبه به وهو نبات الأرض مقيدا ببعد المطر عنه ، ولا يتصور اعتبار هذا من قبيل التشبيه المركب ــ وهو صورة الناس ، وعدم وجود الممدوح، لعدم استقامة المعنى في الذوق البلاغي .

والمركب نوعان :

الأول : ما يصح فيه تشبيه كل جزء من أحد الطرفين بما يقابله من الطرف الآخر ، مثاله قول الله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) من سورة الجمعة آية ٥

فالمشبه مركب من : اليهود ، و حملهم لكتاب نافع ، وعدم عملهم بهذا الكتاب .

والمشبه به مركب من : الحمار ، والحمل للأسفار ، والمحمول نافع ، مع عدم انتفاع الحمار بما يحمل .

فلو أردنا مقابلة كل جزء من أجزاء الطرفين بالآخر لأمكننا ذلك .

الثاني : ما لا يصح فيه ذلك أي لا يمكن فصل الأجزاء على أي وجه من الوجوه وبالتالي لا يمكن مقابلة أجزاء طرفي التشبيه .

ومثاله كقول الشاعر :

غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطرف أشهب ملقى الجِلاجل

فقد قصد الشبه الحاصل للناظر إلى الصبح والليل معا ، وتأمل حالهما معا، وأراد أن يأتي بنظير للهيئة المشاهدة عند مقارنة أحدهما بالآخر ، فوجده في الفرس الأشهب أدار الجلاجل عن ظهره حتى انكشف أكثر جسده ، فلو أردنا فصل التشبيه لاختل ، وذلك لأن الجلاجل في مقابل الليل ، فلو قلنا كأن الليل جلاجل ، وسكتنا لم يفد شيئا ، ولهذا لم يصح .

وكما قيل في طرفي التشبيه يقال في وجه الشبه من حيث الإفراد والتركيب

وقد يكون حسيا وقد يكون معنويا .

وقد ذكر الجرجاني مثالا لكل من المفرد والمركب

فالمفرد كقوله صلى الله عليه وسلم : (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا)

حيث شبه العلم بالغيث ، وشبه من ينتفع به بالأرض الطيبة ، وشبه من لا ينتفع به بالقيعان فهي تشبيهات متعددة كل طرف في مقابل الآخر .

والمركب كقوله صلى الله عليه وسلم: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة) فهذا هو تشبيه المجموع بالمجموع ، لأن وجه الشبه عقلي منتزع من أمور فيكون أمر النبوة في مقابلة البنيان) *

* من كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ج١ ص ٨١ ط دار الكتاب العربي بيروت

قال الدكتور / العماري :

إن وجه الشبه يكون مفردا ، ويكون مركبا ، وكل منهما يكون حسيا وعقليا، وقد خص جمهور علماء البلاغة التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه مركبا باسم (تشبيه التمثيل) وعليه فالنسبة بين التمثيل والتشبيه العموم والخصوص المطلق ، فكل تمثيل تشبيه ولا عكس .

ثم ساق مثالا من الأحاديث النبوية ، وهو :

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد .....)

فقد شبه المؤمنين في تعاونهم ، وأن ما يصيب أحدهم يشعر به الجميع بالجسد إذا مرض عضو تألمت له بقية الأعضاء ، ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد . *

تتمة :

ما ورد في السنة من الأمثال هو من قبيل التشبيه التمثيلي ، وقد عرفنا أنه : ما يكون فيه وجه الشبه مركبا منتزعا من متعدد .

وقد ذكر علماء البلاغة المَثَل في مبحث المجاز المركب ثم قالوا :

إن كانت العلاقة المشابهة بين الطرفين كان تشبيها تمثيليا أو استعارة تمثيلية ، وإن كانت العلاقة غير المشابهة كان مجازا مرسلا . **

المقارنة بين المثل في كلام العرب والمثل في الحديث النبوي :

المطالع للمثل عند العرب والمثل الذي يوجد في حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد بينهما وجه اتفاق ووجه افتراق .

الأول : الاتفاق فإن كان للمثل العربي مورد ، ومضرب ، وغرض من ذكره ، فإن للمثل الحديثي سببا في إيراده له صلى الله عليه وسلم بما يقتضيه الحال والمقام ، ومضربا يساق له المثل الحديثي ، وغاية وغرضا كذلك .

* أسرار البيان ص ٩٢

** المصدر السابق ص ١٧٥

الثاني : وجه الاختلاف أن المثل العربي لا يشتمل على أركان التشبيه ، لا في مورده ولا في مضربه ، بخلاف المثل الحديثي فلا يخلو مثل حديثي من أركان التشبيه عند إيراده ، ومضربه على السواء .

أما المثل العربي فهو عبارة عن لفظ موجز يقياس حال مضربه على حال مورده لوجود تشابه بين الحالين ، كما أشار إليه الرامهرمزي سابقا ، وبالمثال يتضح المقال .

فالمثل العربي نحو : (إذا عزَّ أخوك فَهُنْ)

مضرب المثل :

يضرب لكل من يطلب منه اللين عند ملاقاة العنف لا ضعفا منه ولكنه حسن خلق على غرار قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن)

مورد المثل :

كان المفضل يقول : إن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبي ، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالغنائم ، فقال له أصحابه : اقسمها بيننا ، فقال :

إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب ، فأبوا ، فعندها قال :

إذا عز أخوك فهن ثم نزل فقسم بينهم الغنائم .*

والمثل الحديثي نحو ماأخرج البخاري في صحيحه قال :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

*راجع مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري الجزء: ١ الصفحة: ٢٣

(مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) .*

معنى الحكمة ، والفرق بينها وبين المثل .

سبق أن عرفت معنى المثل فما معنى الحكمة ؟

وللجواب نقول قال الجرجاني : قيل الحكمة في اللغة العلم مع العمل .

وقيل : كل كلام وافق الحق فهو حكمة .

وقيل : الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو .

وقيل : هي وضع شيء في موضعه .

وقيل : هي ما له عاقبة محمودة . **

وبعد هذا يتضح لك أن العلاقة بين المثل والحكمة غير المشابهة إذ الحكمة هي بيان الغاية والغرض فقط من ذكر الشيء أو عدم ذكره سواء كان فعلا أو تركا ، فيقال : الحكمة من قول أو فعل كذا هي .... والحكمة من عدم قول أو فعل كذا هي ... وقد تعلم الحكمة وقد تخفى .

فإذا ذكرنا المثل قلنا : الحكمة من ذكره كذا .

وإذا لم نذكر المثل قلنا : الحكمة من عدم ذكره كذا .

وليس بمستغرب إذا قلنا : العلاقة بينهما اللزومية فيلزم عن ذكر المثل بيان الحكمة منه ، إذ لا بد من معرفة الغاية من المثل ، وإلا كان ذكره عبثا ، وإليكم بعض أمثال العرب الخلص الفصحاء ثم نثني بعدها بذكر نماذج من أمثال الحديث النبوي والله المستعان :

*البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيين ج٤ ص ١٦٢ ط دار الفكر

**من كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ج١ ص ٨١ ط دار الكتاب العربي بيروت .

من الأمثال العربية :

(أَنَا ابْنُ بَجْدَتِهَا)

أي أنا عالم بها ، والهاء راجعة إلى الأرض .

يقال : عنده بَجْدَةُ ذاك ، أي علم ذاك .

وهو مثل يضرب للخبير بالشيء الملم بكل جوانبه .

(إنه لأنفذ من خازق)

الخازق والخاسق السنان النافذ يوصف به النافذ في الأمور .

(إنه لخفيف الشقة)

يضرب به المثل للقانع المتعفف عن المسألة .

(ما هكذا يا سعد تورد الإبل)

مضرب المثل :

هذا مثل يضرب لكل من قصر في الأمر .

مورد المثل :

هذا سعد بن زيد مناة أخو مالك بن زيد مناة الذي يقال له آبل من مالك ومالك هذا هو سبط تميم بن مرة وكان تزوج وبنى بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل *

---

* مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري ج ١ ص ٢٢، ص ٣٥ ص ٢١ ، المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٤

توجيه المسلمين عامة وأهل الكتاب خاصة

أخرج البخاري في صحيحه قال :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ : لَوْلاَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ) *.

ولمسلم قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ! قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ ، قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ) فَذَكَرَ نَحْوَهُ **

التوجيه النبوي

قال ابن حجر : قوله : (مثلي ومثل الأنبياء كرجل بني دارا) .

قيل المشبه به واحد ، والمشبه جماعة ، فكيف صح التشبيه ؟ .

وجوابه : أنه جعل الأنبياء كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان .

وفي هذا توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم للناس عامة ــ مسلمهم وغير مسلمهم ــ أن يكونوا على كلمة سواء وأن حاجتهم إلى الإيمان به صلى الله عليه وسلم ، والعمل بما يكلفهم به كحاجة الساكن إلى كل أركان

---

* البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبيين ج ٤ ص ١٦٢

** مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كونه خاتم النبيين ج٥ ص ٥١ ط مؤسسة مناهل العرفان مكتبة الغزالي .

البيت الذي يأويه ويحميه وفيه معاشه ، وكل حوائجه ، فكما لا يستغني الساكن عن إكمال البيت لا يستغني المكلف عن كل المرسلين المبلغين عن الله شريعته وأنه لا يقبل إيمان أهل الكتاب الذين يدعون اتباعهم لأنبيائهم إلا بإيمانهم به صلى الله عليه وسلم ، فذلك دليل تصديقهم بأنبيائهم الذين أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به ونصرته وأقروا وأشهدوا الله على ذلك ، قال تعالى :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) * .

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الإيمان المطلق بكل من سبقه من الرسل قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) ** .

قال ابن حجر : ما مفاده

ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي ، وطرفا التشبيه ــ الشبه والمشبه به ــ متعدد ، حيث شبه الأنبياء ، وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت***

= فالأنبياء في مقابل البيت .

= وهو صلى الله عليه وسلم في مقابل اللبنة التي يكتمل بها البناء .

= وما أرسل به الأنبياء ــ بما فيهم خاتمهم صلى الله عليه وسلم ــ من توحيد الله وعبادته بما شرع لهم ، وما يصلح حياتهم في الدارين في مقابل الفائدة التي يجدها من يسكن الدار المكتملة الأركان والأبواب والنوافذ والسقف وكل المرافق التي تلزم الساكن فيها.

---

* من سورة العمران آية ٨١ ، ٨٢ .

** من سورة البقرة آية ٢٨٥ .

***فتح الباري ج ٦ ص ٥٥٨ ط السلفية بتصرف شديد .

= والجهة الجامعة أو وجه الشبه هو الهيئة المنتزعة من كل ذلك فكما أن الساكن في البيت ينتفع بكل ما فيه ولا يستغني عن أي جزء مما هو لازم له، فكذلك الإنسان يجب أن يقر ويعترف ويصدق ويؤمن بكل ما جاء به الأنبياء من عند الله تعالى لعباده المكلفين من توحيده سبحانه والتصديق والإذعان لكل ما كلفهم به من عبادة ، لما فيه وقايتهم من الشر، وإسعادهم بالخير ، وذلك ببيان الحلال والحرام ، والطيب والخبيث ، والاستمتاع بما خلق وسخر من مخلوقات ، وأسبغ من نعم ظاهرة وباطنة لا يستغني عنها أي إنسان .

وبين الحكمة من خلقه لكل المكلفين فقال سبحانه : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . *

ولقد بين الله تعالى الغاية والحكمة التي من أجلها أرسل الرسل عليهم السلام قال تعالى :

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)** .

قال النووي : في الباب قوله صلى الله عليه وسلم :

(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي) إلى قوله (فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين)

بيان فيه فضيلته صلى الله عليه وسلم .

وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره .

أقول :

= إن هذا الحديث يوجه غير المسلمين إلى التدبر في المثل المؤدي للإيمان به صلى الله عليه وسلم ، وهو حجة على كل من أدرك زمنه أو ولد بعده صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤمن به وبما جاء به صلى الله عليه وسلم لأن الصورة البيانية في مستوى فهم كل عاقلٍ مكلف .

= ويجب على كل مسلم أن يدعو إلى الإسلام ، كلٌ بما يمنحه الله من فقه وعطاء فالعالم يدعوا على هدى وبصيرة ، متسلحا بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولو اضْطُرَّ إلى الجدال مع الخارجين منهم ، فليكن بالتي هي أحسن ، مع الإعلان

---

* من سورة الذاريات آية ٥٦ .

** من سورة النساء آية ١٦٥ .

بإيمانه الشامل قائلا: (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) *

= ولقد دأب كثير من المنحرفين في زماننا على الطعن في الإسلام ورسوله وفرائضه ، مستخدمين وسائل الإعلام المسموعة والمرئية متفوهين بأقبح الألفاظ والعبارات التي تدل على عدم تبعيتهم لدين ولا ملة ، لأن ما يصدر منهم لا يتصور من عاقل ، فضلا عمن لا دين لهم .

وكل هذا من كيد الكفرة والملاحدة الذين يعيثون في الأرض فسادا ، وشغلهم الشاغل هو صد الناس عن دين الله وصرفهم عن الحق والعدل ، ومعرفة ما لهم وما عليهم مهما كلفهم ذلك من نفقات ، لدس الفتن وإنشاء العداوات بين الناس ، وإشاعة الفحشاء والمنكر ، ولقد جند الطغاة وأذنابهم جنودا ممن يشترون الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة .

وأطلقوا لأبواقهم العنان للتشويه والتدليس على الإسلام والتلبيس على أهله، ولسان حالهم يقول (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) **

فصاروا يهرفون بما لا يعرفون إيغالا منهم في الجحود والإنكار للنبي الخاتم .

= ولنكن على حذر مما يجرنا إليه هؤلاء ــ ونحن ندري أو لا ندري ــ بسبب إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا و طعنهم في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد ينزلق أحد المسلمين ، ظنا منه أنه ممن يحسنون صنعا ، فيطعن في سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام ، كردة فعل لقاء ما يقوله المغرضون عن الإسلام ونبيه ، وأتباعه وهذا ما يرومون كي يزحزح المسلم عن ثباته على الحق وقد فضح الله تعالى أمرهم وكشف سترهم ، فقال جل شأنه : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) ***.

فلا ينجرف بعض الدعاة المسلمين وينحدرون فيما يسقط فيه السفهاء بسبب إساءتهم للدين الإسلامي ورسوله وأتباعه من سبٍّ وشتم وتطاول على الله ورسوله على لسان المشركين الذين يدعون أنهم أهل كتاب فنقع فيما نفر منه ، استدراجا منهم .

---

* من سورة العنكبوت آية ٤٦

** من سورة فصلت آية ٢٦

*** من سورة النساء آية ٨٩

ولا يدعونا استمرار هذا التصرف المشين منهم إلى اليأس ،

وعدم الصبر عليهم ، فنمتنع عن دعوتهم إلى الحق والهدى ، وقد يلبس الشيطان على الناس دعوتهم إلى الحق فيقولون بلسان الحال (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)*.

أو يقولون (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) **.

وإنما علينا أن نبلغ عن الله الحق ، مع إيماننا بكل الأنبياء والمرسلين ، ونتمثل قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) *** .

وكلما تلوَّن الناس في انحرافهم وبُعْدِهم عن الله واتباعهم لأهوائهم أعمل علماء الإسلام فكرهم ، وشغلوا وقتهم بابتكار ما يتناسب من وسائل إقناع بثها الله تعالى في كتبه المبسطورة ، أو في أسرار ملكوته المنثورة ، لنعين هؤلاء على أنفسهم بما يجليه الله لهم من آياته كما قال جل شأنه : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .****

---

* من سورة المائدة آية ١٠٥ .

** من سورة يونس آية ٩٩

*** من سورة الكهف آية ٢٩ .

**** من سورة فصلت ٥٣

ولنأخذ بالأسباب التي يسرها الله لنا للاعتذار إلى ربنا ، ورجاء حصول التقوى منهم (معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) * .

ولا يعقل أن نتقوقع مكاننا وننتظر ــ مع غيهم الشديد ــ أن يفئوا إلى أمر الله ، وأن يكونوا كما أراد الله منهم ، بل لابد من مواكبة الحضارة واستخدام وسائل التكنولوجيا التي يستخدمونها لإقناعهم ، (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)** ،

(وما ذلك على الله بعزيز)*** والله أعلم .

وغير العالم إن لم يدع بلسانه ، دعا بسلوكه ولسان حاله .

جعلني الله وإياكم من الذين (يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) **** ، (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) ***** .

توجيهه صلى الله عليه وسلم في معالجة المعاصي

قال البخاري رحمه الله :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ قَالَ ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ ، وَالدَّرَاوَرْدِيُّ ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ، مَا تَقُولُ ؟ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ قَالُوا : لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا ، قَالَ : فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا) *****

---

* من سورة الأعراف آية ١٦٤ .

** من سورة الطلاق آية ١.

*** من سورة إبراهيم آية ٢٠ .

**** من سورة الزمر آية ١٨.

***** من سورة فصلت ٣٣ .

****** البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة حديث٤٩٧

ولمسلم قال :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، ح ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُضَرَ كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ الْهَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)* .

التوجيه النبوي

من جمال الدين الإسلامي أن يراعي في الإنسان بشريته وضعفه إذ لا يتصور إنسان خال من الخطأ ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وربما أثر شؤم المعصية أو الذنب في الإنسان فيقعده عن الطاعة أو يصده عن ذكر الله ، ظنا منه أنه ما دام قد اقترف ذنبا فلن يكون أهلا لرحمة الله أو للمعروف والإحسان ولن ينهض من كبوته ولن تقال عثرته ، ولو استحكم هذا الشعور من إنسان لما وجد سبيلا إلى الرشاد ، فلن يهتدي إذا أبدا ، ولربما أفضى به اليأس والقنوط إلى ما لا تحمد عقباه كما نراه ممن لا دين لهم في الشرق والغرب ، وما يلجأون إليه من خراب ودمار ، ويأسا من حياتهم ، والواقع خير شاهد ، ولكن الله جل وعلا (واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) ** .

ولقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم وبعث الأمل في نفوس المسلمين فضرب لهم مثلا محسوسا لا يشق على البسطاء فهمه ، ولن يعدم البليغ فيه نهمه ، بأن الذنوب والخطايا التي تصدر منهم ، مهما عظمت في نفوس أصحابها ، يمكن محوها وإزالتها بلا تكلف عمل زائد ، وحسب المسلم فعل ما فرض عليه من الطاعات فإنها تطهر أبدانهم ، وتزكو بها نفوسهم ، وترضي عنهم خالقهم سبحانه .

---

* مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحى بها الخطايا وترفع بها الدرجات ج ٥ ص ١٦٩

**النجم آية ٣٢

فكان هذا المثل الذي أجراه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم يخاطب به رغبات ومطالب النفس البشرية ، التي تتمنى أن يكون لها بيت يمر أمامه نهر .

فيستحضر العبد المسلم في خاطره ما أعده الله تعالى له في الآخرة من (جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن) *.

وما بشر به المؤمنين بـ (أن لهم جنات نجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ..)**

بل وأكثر من ذلك ، لمن (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)*** .

وبيت فيه حدائق وبساتين يمر أمامه نهر جار لهي صورة محببة إلى نفس كل إنسان ، ولا يقوى على تحقيقها إلا ذوو اليسار فى الدنيا ، فتراهم يبنون على شواطئ الأنهار بيوتا وقصورا ، ولا يخفى ما تضفيه الطبيعة على من يسكنون هذه البيوت ، وتلك القصور من الراحة والسعادة ، وما تبعث عليه من التفكير والتدبر ، فيتمنى سكانها أن يدوم هذا الحال ، ولكن الدنيا فانية ومتاعها قليل ، والنفس مشرئبة متطلعة إلى عدم فوات هذه الصورة الجميلة ، وتتمنى أن لو كانت حقيقة باقية .

ولن تكون كذلك إلا إذا تخلص من ربقة الذنوب والآثام أوّلا ، وشحذ همته للعمل الصالح الذي يؤدي به إلى تحقيق مطالبه وأمانيه ثانيا ، فيهرع المسلم إلى الصلاة ليطهر بها من ذنبه ، وتقر بها عينه ، وتخشع جوارحه ، ويطمئن قلبه ، وتعرج إلى الله فيها روحه ، فيخرج من صلاته وهو أحق بها وأهلها .

---

*النجم آية ٣٢ **من سورة البقرة آية٢٥

*** من سورة السجدة آية ١٦ ، ١٧

شبه الصلاة وما تشتمل عليه من ذكر تصفو به الخواطر وتزكوا به السرائر بالنهر وما يشتمل عليه من ماء تطهر به الظواهر.

= فكما يفعل ماء النهر مع الأدران ، يفعل الذكر في الصلاة مع الذنوب والآثام .

= وكما أن ماء النهر عذب وهو أساس الحياة ، لقوله تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) *

فكذا الصلاة تحيا بها القلوب ، وتصان بها الجوارح ، لاسيما وأن الصلاة ذكر كما قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكري) ** . و قوله سبحانه : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)*** .

وذكرُ الله يجعل صاحبه حيا كما أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) **** .

= وكما أن تكرار انغماس الجسد في الماء الجاري المتجدد يحفظ البدن من القذى ، فإن تكرار وقوف الإنسان بين يدي خالقه وهو يسبح في تجليات الله يحميه من الشيطان وحزبه .

= وكما أن نضرة البشرة ونقائها من الكدرات بالغسل تكسب صاحبها وضاءة فإن الذكر في الصلاة يضفي عليه انشراحا واطمئنانا وقبولا .

وطرفا المثل مركب من متعد نهر به ماء ، ودرن يجب أن يزال ، وإنسان يغتسل ، وعدد مرات الاغتسال ، في مقابل ما يلزم من مقدمات الصلاة من استنجاء ووضوء ، ومصلٍ ، وعدد الصلوات .

ووجه الشبه منتزع من هذا المتعدد وهو طهارة الظاهر والباطن وما يترتب عليه من سعادة في الدارين ، جعلنا الله وإياكم من هؤلاء .

قال المباركفوري :

قوله : (أرأيتم) أي أخبروني هو استفهام تقريري متعلق بالاستخبار أي أخبروني هل يبقى ؟ .

---

* من سورة الأنبياء آية ٣٠

** من سورة طه آية ١٤ .

*** من سورة العنكبوت آية ٤٥ .

**** البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ج٤ ص١٦٨

(لو أن نهرا)

قال الطيبي : لفظ ــ لو ــ يقتضي أن يدخل على الفعل ــ وأن يجاب لكنه ، وضع الاستفهام موضعه تأكيدا وتقريرا ، والتقدير : لو ثبت نهر صفته كذا لما بقي .

والنَّهَر : بفتح الهاء وسكونها ما بين جنبي الوادي سمي بذلك لسعته ، وكذلك سمي النهار لسعة ضوئه ، قاله الحافظ .

(هل يَبقَى) بفتح التحتانية (من درنه) بفتح الدال والراء أي وسخه يعني هل يبقى على جسده شيء من درنه .

(قال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم .(فذلك) المشار إليه هو النهر المذكور قاله ابن الملك .

ونقل عن القاري قوله : والأظهر أن الإشارة إلى ما ذكر من الغسل في النهر خمس مرات .

وأرى : أن المشار إليه كل ما سبق من هيئة النهر والاغتسال فيه خمسا وإزالة الدرن .

ونقل عن الطيبي قوله : الفاء جزاء شرط ، أي : إذا أقررتم بذلك وصح عندكم (فذلك مثل الصلوات الخمس) عكس في التشبيه حيث أن الأصل تشبيه المعقول بالمحسوس مبالغة كقوله تعالى : (قالوا إنما البيع مثل الربا)

(يمحو الله بهن) أي بالصلوات (الخطايا) أي الصغائر .

قال ابن العربي : وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبا إلا أسقطته انتهى .

قال الحافظ : وظاهره أن المراد بالخطايا في الحديث ما هو أعم من الصغيرة والكبيرة لكن روى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرَ)

وله أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ) فعلى هذا يحمل المطلق على المقيد في غيره .

استشكال مؤداه : إذا كانت الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر بنص القرآن كما في قوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) ، فما الذي تكفره الصلوات الخمس ؟ .

قال الحافظ : وقد أجاب عنه شيخنا الإمام البلقيني بأن السؤال غير وارد لأن مراد الله في قوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) من سورة النساء آية ٣١ أي في جميع العمر .

ومعناه : الموافاة على هذه الحالة من وقت الإيمان أو التكليف إلى الموت .

أما الذي في الحديث : أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها أي في يومها إذا اجتنبت الكبائر في ذلك اليوم ، فعلى هذا لا تعارض بين الآية والحديث انتهى .

وعلى تقدير ورود السؤال فالتخلص منه بحمد الله سهل ، وذلك أنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس ، فمن لم يفعلها لم يعد مجتنبا للكبائر لأن ترك الصلوات الخمس من الكبائر ، فيتوقف التكفير للصغائر على فعلها انتهى *.

ألا ما أجمل توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بأن يستخدموا وسائل الطهارة الحسية والمعنوية التي لا يدعي معرفتها أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم مع سهولتها وبساطتها ولا ينتبه إليها إلا من أراد الله له ذلك ، فيضرب صلى الله عليه وسلم لهم المثل من واقع البيئة التي لا ينفصل ولا يستغني عنها كائن حي .

وهذا المثل علاج من شؤم المعصية ، ولرفع السآمة والكآبة التي تعتري من يقع فيها ، وما ذلك إلا تجسيد لقول الله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) .

فإنه ما من إنسان يمكنه أن يدعي قدرته على إزاحة همٍّ أو إزالة غمٍّ يعتور إنسانا وقع في معصية ، مهما وسم نفسه بسمات ، وأعطى لنفسه من شارات ، وافترض حلولا وتخمينات ، وإن صدقت نظريات علماء النفس مع واحد ضلت طريقها مع المئات ، لأن كل تجاربهم محض افتراض .

أما ما يصفه لنا خاتمة الأنبياء والرسالات بوحي من خالق الأرض والسموات

فيه الشفاء من كل العلل والداءات (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) هدانا الله وإياكم لما فيه إسعادنا ورضاه .

---

* تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي كتاب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب مثل الصلوات الخمس ج ٨ ص ص ١٦٨ ــ ١٦٩ ط المعرفة بالقاهرة

توجيه المثل لاختبار ذكاء الناس

أخرج البخاري في صحيحه قال :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَر ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : (هِيَ النَّخْلَةُ) .

البخاري كتاب العلم باب قول المحدث حدثنا

ولمسلم قال :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟) فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : فَقَالَ : (هِيَ النَّخْلَةُ) قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ ، قَالَ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

وأخرج الترمذي قال :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مُوسَى الأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هِيَ النَّخْلَةُ) ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَقُولَ ،

•شرح النووي على مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة ج ١٧ ص ١٢٩

قَالَ عَبْدُ اللَّه : فَحَدَّثْتُ عُمَرَ بِالَّذِي وَقَعَ فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

الترمذي كتاب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ

توجيه المثل

لقد انتشرت المسابقات الثقافية ، وتعددت دروبها ومسالكها ، وتنوعت أغراضها وأهدافها ، ورصدت لها جوائز مادية وعينية وأدبية خيالية ، ومعظمها لا طائل تحتها كمعرفة أشهر مغنٍّ أو ملحن أو مطرب في سنة كذا أو في بلد كذا ، وكم عدد النقاط التي حصل عليها نادي كذا في دورة كذا في سنة كذا ؟ ، ومن مخترع آلة اللهو والموسيقى كذا ؟ ، وسماع مقطع أو نبرة لموسيقى لتحديد صاحبها ومناسبتها . إلى غير ذلك من الغثاء الذي روِّج له أهله وحاشيته .

ويا ليتنا نجري مسابقات ثقافية شرعية إسلامية لنصقل أفكار البنين والبنات ، بدلا من هذه الخزعبلات التي لا تفيد ولا تنفع إلا في نظر معتقدينها .

ويا ليتنا نستفيد من تصرفه صلى الله عليه وسلم في تحين الفرصة لضرب المثل واللغز لإعمال كل واحد عقله في معرفة تواريخ الأحداث الإسلامية والفرائض الشرعية ، والتشجيع على الابتكار بإعمال فكره وعقله .

قال ابن حجر : ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ، وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها ، مستمرة في جميع أحوالها ، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها ، حتى النوى في علف الدواب ، والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى ، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته .

قال النووي : قال العلماء : وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ، ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس ، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة ، ومن خشبها وورقها وأغصانها ، فيستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأواني وغير ذلك ، ثم آخر شيء منها نواها ، وينتفع به علفا للإبل ، ثم جمال نباتها ، وحسن هيئة ثمرها ، فهي منافع كلها ، وخير وجمال ، كما أن المؤمن خير كله ، من كثرة طاعاته ومكارم

أخلاقه، ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة ، وسائر الطاعات ، وغير ذلك ، فهذا هو الصحيح في وجه التشبيه .

قال المباركفوري :

وبركة النخل موجودة في جميع أجزائها مستمر في جميع أحوالها ، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى ، وكذلك بركة المؤمن عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته و ذهبت أفكار الناس في أشجار البادية ، فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع وذهلوا عن النخلة ،

وقال بن حجر :

= وفيه إشارة إلى أن من يسمع لغزا ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال ، وأن من يقول لغزا ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للسامع بابا يدخل منه ، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه .

= وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم : امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه .

استشكال :

روى أبو داود من حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه نهى عن الأغلوطات) ما يوهم ظاهره التعارض مع هذا الحديث .

ونقل ابن حجر جواب الأوزاعي ــ أحد رواة الحديث ــ فقال :

الأغلوطات : هي صعاب المسائل ، فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه ، أو ما خرج على سبيل تعنت المسئول أو تعجيزه .

= وفيه التحريض على الفهم في العلم .

= وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة ، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت .

= وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام ، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة .

= وفيه إشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه ، فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله .

= وفيه توقير الكبير ، وتقديم الصغير أباه في القول ، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب .

= وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه ، لأن العلم مواهب ، والله يؤتي فضله من يشاء . واستدل به مالك على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله ، وذلك مستفاد من تمني عمر المذكور ، ووجه تمني عمر رضي الله عنه ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده ، ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره ، وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة ، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم . والله أعلم . أ هـ كلام ابن حجر راجع فتح الباري ج ص .

قال النووي في شرح مسلم : وفي هذا الحديث فوائد :

= منها : استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ، ليختبر أفهامهم ، ويرغبهم في الفكر والاعتناء .

= وفيه : توفير الكبار كما فعل ابن عمر ، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها .

= وفيه : سرور الإنسان بنجابة ولده ، وحسن فهمه ، وقول عمر رضي الله عنه : (لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي) أراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو لابنه ، ويعلم حسن فهمه ونجابته .

قوله : (فوقع الناس في شجر البوادي) أي : ذهبت أفكارهم إلى أشجار البوادي ، وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي وذهلوا عن النخلة .

وخلاصة القول أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه الصحابة الكرام ، ومن تبعهم بإحسان إلى جواز ضرب المثل والإلغاز بما ينفع ، لتنشيط الذهن حتى يأتيه وقت للابتكار .

وبعد فهذه نماذج ثلاثة من الأمثال النبوية ، تحمل توجيها نبويا للناس عامة بضرورة الإيمان به والتصديق بما أوحي إليه ، وآخر يوجه الناس إلى إحدى وسائل تكفير الذنوب ــ وهي أهم الوسائل ــ أي الصلاة ، وثالث يشحذ الهمم وينشط الذاكرة ويبين شأن المسلم وأنه نافع في كل أحواله ، وأكتفي بهذه النماذج الثلاثة ، لعل الله يوفقني إلى عمل أوسع وأشمل أجمع فيه كل الأمثال الحديثية ، وما يستدرك على هذه النماذج استدركه فيما هو آت ، إن شاء الله تعالى ، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

كتبه / محمود عبد الوهاب عبد الحفيظ رحمه

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

بكلية أصول الدن بالقاهرة

مثل ما بعثني الله به من الهدى

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الأَرْضِ)

البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلم

وعند مسلم قال

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ وَاللَّفْظُ لأَبِي عَامِرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)

مسلم كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم

أصل الفطرة

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)

البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين

مثل القائم على حدود الله

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ قَالَ سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ

أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) .

البخاري الشركة باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

مثل الذي يذكر ربه

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)

البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله

وعند مسلم

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد

مثل الذي يقرأ القرآن

حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الَّذِي لا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا)

البخاري كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم لا تجاوز حناجرهم

مثل البخيل والمتصدق

حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ و حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو

الزِّنَادِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ) تابَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ طَاوُسٍ فِي الْجُبَّتَيْنِ وَقَالَ حَنْظَلَةُ عَنْ طَاوُسٍ جُنَّتَانِ ، وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ عَنِ ابْنِ هُرْمُزَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُنَّتَانِ) .

البخاري كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل

مثل المسلمين واليهود

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فَقَالَ أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالُوا لَكَ مَا عَمِلْنَا فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ .

مواقيت الصلاة باب من أدرك من العصر ركعة قبل الغروب

وله أيضا

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ فَقَالَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَا لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ لَهُمَا أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ)

البخاري كتاب الإجارة باب الإجارة من العصر إلى الليل

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ)

البخاري كتاب الإجارة إلى نصف النهار

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ عَنْ يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ) البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل القرآن على سائر الكلام

مثل الجاهد

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) .

الجهاد والسير باب أفضل الناس مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله

مثل الجليس الصالح والجليس السوء

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) البخاري كتاب الذبائح والصيد باب المسك

قال النووي :

فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك ، والجليس السوء بنافخ الكير ، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة

ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ، ومن يغتاب الناس ، أو يكثر فجره وبطالته . ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ومعنى : (يحذيك) يعطيك ، وهو بالحاء المهملة والذال، وفيه طهارة المسك واستحبابه ، وجواز بيعه ، وقد أجمع العلماء على جميع هذا ، ولم يخالف فيه من يعتد به ، ونقل عن الشيعة نجاسته والشبهة لا يعتد بهم في الإجماع ومن الدلائل على طهارته الإجماع وهذا الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (وإما أن تبتاع منه) والنجس لا يصح بيعه . ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يستعمله في بدنه ورأسه ، ويصلي به ، ويخبر أنه أطيب الطيب ، لم يزل المسلمون على استعماله وجواز بيعه . قال القاضي : وما روي من كراهة العمرين له فليس فيه نص منهما على نجاسته ، ولا صحت الرواية عنهما بالكراهة ، بل صحت قسمة عمر بن الخطاب المسك على نساء المسلمين ، والمعروف عن ابن عمر استعماله . والله أعلم .

١ - إثبات عموم رسالته

من خلال مثله صلى الله عليه وسلم ومثل الأنبياء

قال الإمام مسلم رحمه الله : حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا بنيانا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة) .

وحدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر أحاديث منها ، وقال أبو القاسم :

(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة) .

وحدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل يعنون بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثلي ومثل النبيين) فذكر نحوه .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء).

وحدثنيه محمد بن حاتم حدثنا بن مهدي حدثنا سليم بهذا الإسناد ثم مثله وقال بدل (أتمها - أحسنها) .(١)

توضيح المثل

قال ابن حجر قوله : مثلي ومثل الأنبياء كرجل بني دارا .

قيل المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه ؟.

وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان.

ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه شبة الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت .

وزعم ابن العربي : أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار .

قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور .

---

١ - مسلم ك / باب ذكر كونه خاتم النبيين ج ٤ ص١٧٩١ حديث رقم ٢٢٨٣ - ٢٢٨٧ . وله متابعات في البخاري /ك المناقب / ب خاتم النبيين حديث ٣٢٧١ .

وله شاهد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في نفس المصدر

وهذا إن كان منقولا فهو حسن وإلا فليس بلازم ، نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها .

وقد وقع في رواية همام عند مسلم : (إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها) فيظهر أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصا ، وليس كذلك ، فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة .

فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة .

قوله : (لولا موضع اللبنة). بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضا هي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء، ويقال لها ما لم تحرق لبنة فإذا أحرقت فهي آجرة .

وقوله : (موضع اللبنة)بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا .

ويحتمل أن تكون لولا تحضيضية وفعلها محذوف تقديره : (لولا أكمل موضع اللبنة) . ووقع في رواية همام عند أحمد :

(ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك) ، وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام .

وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين .

ومن الحكمة أن يعرف الناس – جميعا – حاجتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكونوا على بينة من أمرهم في قبولهم دعوته أو اعتراضهم عليها ، خاصة من كانوا على غير الإسلام ، وبالرغم من تبرئة الله سبحانه وتعالى لساحة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه ليس بدعا من أمره كما جاء ذلك في قوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ..) الآية (٢)

لم يتركهم النبي صلى الله عليه وسلم يتكهنوا أمورا تتعلق بشأنه صلى الله عليه وسلم ، أو على الأقل ما يدور في أذهان بعضهم من غير بيان ، لكنه بادرهم صلى الله عليه وسلم بالرد على الخارجين عليه ، بل والمعترضين على نبوته صلى الله عليه وسلم ، فكان ضربه صلى الله عليه وسلم للمثل الذي يجسد للناس حاجتهم للإيمان به ، إذ لا يقبل

---

٢ – سورة الأحقاف / ٩

إيمانهم بأنبيائهم إلا بإيمانهم به صلى الله عليه وسلم فيه اكتمل بناء الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده .

قال الرامهرمزي :

قال أبو محمد : هذا مثل نبوته صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء ، وبه تتم حجة الله عز وجل على خلقه ، ومثل ذلك بالبنيان الذي يشد بعضه بعضا ، وهو ناقص الكمال بنقصان بعضه ، فأكمل الله به صلى الله عليه وسلم دينه ، وختم به سبحانه وتعالى وحيه .

والعرب تمثل ما يبالغون فيه من الوثاقة والأصالة وعقدة المكارم والمفاخر وأشباه ذلك بالبنيان ، قال الله عز وجل : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(٣)

يعني لا يزول ولا يتخلخل ، وأخبر أنه بنى السماء فرفع سمكها وهو بناء القدرة لا أن ثمة شيئ من آلة .

فهو كقول من قال :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

البنى : مقصور بضم الباء جمع بنية .

قال الرامهرمزي : هكذا قال لنا إبراهيم بن السري يعني الزجاج ، كما تقول : لحية ولحى وحليلة وحلى .

وأنشد ابن دريد :

تبوأت بيتا في المكارم والعلا رفيع البنا بين المجرة والنجم (٤)

وهذا المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم يرد على كل من ينكر رسالته لأنها متممة للدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لخلقه وهذا يشبه قوله جل وعلا :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) . (٥)

---

٣ – الصف / ٤ .

٤ – راجع أمثال الحديث للرامهرمزي ج١ ص١٠ – ١٢ .

٥ – المائدة / ٣

ومعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، إذ الخطاب أعم من أن يكون للمسلمين دون غيرهم ، لا سيما وأن هذا الدين الذي ارتضاه الله تعالى لخلقه هو دين أبي الأنبياء عليهم السلام قال تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) . (٦)

والذي يجب إعلانه وإفشاؤه أن الإسلام أمنية من أماني اليهود كما جرى ذلك على لسان رجل منهم فقد روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال :

(جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا أنزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال ونصف آية قال : اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ، فقال عمر : إني لأعلم اليوم الذي أنزلت فيه ، والمكان الذي أنزلت فيه ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة في يوم جمعة) .(٧)

وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج إذْ لم يطف معهم في هذه السنة مشرك ولا طاف في البيت عريان ووقف الناس كلهم بعرفة .

وقيل (أكملت لكم دينكم) بأن أهلكت لكم عدوكم ، وأظهرت دينكم على الدين كله كما تقول قد تم لنا ما نريد إذا كفيت عدوك ، قوله تعالى:

(و أتممت عليكم نعمتي) أي بإكمال الشرائع والأحكام ، وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم ، إذ قلت (وأتممت عليكم نعمتي) وهي دخول مكة آمنين مطمئنين وغير ذلك مما انتظمته هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة في رحمة الله تعالى .

شبهة :

ولعل قائلا يقول : إن قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) يدل على أن الدين كامل في وقت من الأوقات - أي قبل نزول هذه الآية - ، وهذا يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين ، والأنصار ، والذين شهدوا بدرا ، والحديبية . وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعتين

---

٦ - آل عمران / ٦٧ .

٧ - البخاري ك الاعتصام ب١ ج٤ ص١٦٠٠ ط دار ابن كثير بيروت .

جميعا ، وبذلوا أنفسهم لله مع عظيم ما حل بهم من أنواع المحن ماتوا على دين ناقص ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك كان يدعوا الناس إلى دين ناقص ، ومعلوم أن النقص عيب، ودين الله تعالى قيم كما قال تعالى (دينا قيما) .

فالجواب : أن يقال له لمّا قلت : إن كل نقص هو عيب فما دليلك عليه ؟

ثم ما قولك في نقصان الشهر هل يكون عيبا؟

وما قولك في نقصان صلاة المسافر أهو عيب فيها ؟

وما قولك في نقصان العمر الذي أراده الله بقوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) أهو عيب له ؟ .

ونقصان أيام الحيض عن المعهود ؟ .

ونقصان أيام الحمل ، فيا من أنكرت نقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بشين ولا عيب.

وأما عن معنى قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) فعلى وجهين :

أحدهما أن يكون المراد : بلّغته ووصلته أقصى الحد كان له عندي فيما قضيته وقدرته ، وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصا نقصان عيب، ولكنه يوصف بنقصان مقيد .

ثانيهما : أن من مات من المسلمين قبل نزول هذه الآية إنما مات وقد تحقق له من الإسلام والإيمان والإحسان - وهذا غاية الكمال الديني - وإلا لما رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وهذا ثابت بالنص المحكم من القرآن الكريم ، فثبت ما أدى إليه وهو كمال الدين لمن مات قبل نزول الآية ، وانتفى ما عداه وهو القول بإفادة الآية نقصان دين من مات قبل نزولها .

وهذه النظرة سطحية جدا من هؤلاء ، لأن المسلم قد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر ، فإسلامه وإيمانه مكتمل حتما ، لأنه صدق بكل ما جاء من عند الله ، ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون - أي أن إيمانه مطلقا شامل للغيب والشهادة - فلا يقال : إن النقصان ناشئ من عدم عمله به بعد الكمال ، لأن العمل به لا يشترط إلا على من عاصره وأدركه ، أما من مات قبله فيكفيه التصديق به كبقية الغيبيات التي أخبر عنها - ربنا جل وعلا - سابقة على وجود المسلم أو لاحقة له بعد وفاته.

قوله تعالى (ورضيت لكم الإسلام دينا) :

أي أعلمتكم برضاي به لكم دينا فإنه تعالى لم يزل راضيا بالإسلام لنا دينا فلا يكون لاختصاص الرضا بذلك اليوم فائدة إن حملناه على ظاهره و دينا نصب على التمييز وإن شئت على مفعول ثان .

وقيل المعنى : ورضيت عنكم إذا انقدتم لي بالدين الذي شرعته لكم .

ويحتمل أن يريد : رضيت لكم الإسلام دينا أي رضيت إسلامكم الذي أنتم عليه دينا باقيا بكماله إلى آخر الآية ، لا أنسخ منه شيئا ، والله أعلم .

و الإسلام في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى :

(إن الدين عند الله الإسلام) (٨)

وهو الذي يفسر في سؤال جبريل للنبي عليهما الصلاة والسلام أي الإيمان والإسلام والشعب .(٩)

صلى الله عليه وسلم بدين شريعته فليس بمتقبل ، كما قال تعالى :

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) (١٠) .

وقال ابن كثير : قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) .

إخبار منه – جل وعلا – بأنه لا دين عنده يقبله – سبحانه وتعالى – من أحد سوى الإسلام ، وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين

حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد

وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام) (١١) بكسر همزة (إن) في (شهد الله أنه) وفتحها في (إن الدين عند الله الإسلام) فتقرأ هكذا (شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام) . أي شهد هو والملائكة وأولوا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام و قرأها الجمهور بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح ولكن على قول الجمهور أظهر والله أعلم .

---

٨ – سورة آل عمران / ١٩

٩ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٦٤

١٠ – آل عمران / ٨٥

١١ – آل عمران / ١٨

ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول ، إنما اختلفوا بعد ما قامت الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم ، فقال :

(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)(١٢) .

أي بغى بعضهم على بعض ، فاختلفوا في الحق ، لتحاسدهم ، وتباغضهم وتدابرهم ، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله ، وإن كانت حقا .

ثم قال تعالى : (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه : (فإن الله سريع الحساب) أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه ثم قال تعالى : (فإن حاجوك) أي جادلوك في التوحيد (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن)

أي فقل أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ،ولا ند له ، ولا ولد ، ولا صاحبة له .

(ومن اتبعن) أي على ديني يقول كمقالتي ،

كما قال تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية (١٣) .

ثم قال تعالى آمرا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به الكتابيين من المليين ، والأميين من المشركين فقال تعالى :

(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) (١٤)

---

١٢ – من سورة آل عمران آية ١٩

١٣ – يوسف /١٠٨ ١٤ – من سورة آل عمران آية ٢٠

نعليه فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه ، وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (يا فلان قل : لا إله إلا الله ، فنظر إلى أبيه ، فسكت أبوه .

فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى أبيه فقال أبوه : أطع أبا القاسم ، فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الحمد لله الذي أخرجه بي من النار) (٢٠) .

قال ابن حجر : كان غلام يهودي ، لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته.

قوله : (أنقذه من النار) فيه جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض ، وفيه حسن العهد وعرض الإسلام على الصبي .

وفيه دلالة على أنه صح إسلامه ، وأنه إذا عقل الكفر ومات عليه أن يعذب .

هذا وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما - وما يسيئون به إلى الإسلام حديثا - مع أن رسلهم قد بلغتهم إياه .

وما ذلك إلا إستكبارا وعنادا منهم وتعاظما على الحق واستنكافا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين - حين بلغوهم عن الله شرعه - بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم ، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق)(٢١) .

ولم يقف الأمر عند قتلهم للأنبياء ، بل جاوزوا الحد في الظلم مع كل من يأمر بالعدل والقسط من الناس فإنهم كما قال جل شأنه :(ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس).

وهذا هو غاية الكبر ، كما رواه الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا (قال:إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس)(٢٢)

---

٢٠ - البخاري / ك الجنائز حديث رقم ١٢٦٨ ، وأخرجه أحمد بلفظه في مسند أنس حديث رقم ١٢٣٣٠

٢١ - آل عمران / ٢١ ٢٢ - مسلم /ك الإيمان / تحريم الكبر وبيانه حديث رقم ١٣١

وهذا السلوك الوحشي غير الآدمي لم يتوقف منهم في عصر ، ولا في مصر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أما عن سبب تماديهم في غيهم دون ما رادع فسأجلّيه في الحديث الذي يصور لنا حال المسلمين كما مثله وصوّره صلى الله عليه وسلم من ضعف وذلة وهوان – أعني الحديث الذي فيه : (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) وسيأتي بعد إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن كثير رواية عزاها لابن أبي حاتم بسنده، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله ! أي الناس أشد عذابا يوم القيامة ؟

قال : (رجل قتل نبيا ، أو من أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا عبيدة ! قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مئة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم) فهم الذين ذكر الله عز وجل.

ولهذا لما أن تكبّروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا ، والعذاب المهين في الآخرة فقال تعالى :

(فبشرهم بعذاب أليم) أي موجع مهين (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) الآيات أهـ كلام ابن كثير بتصرف(٢٣) والله أعلم .

٢ – مثله صلى الله عليه وسلم ومثل من بعث فيهم

قال الإمام البخاري رحمه الله :حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن حدثه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار ، وقال : كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب

---

٢٣ – تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥٥ – وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود بلفظ (أن رسول الله قال : أشد الناس عذابا يوم القيامة، رجل قتله نبي أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين) حديث رقم ٣٦١٧٤

فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى). قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المدية .(٢٤)

وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه) .(٢٥)

وحدثناه عمرو الناقد وابن أبي عمر قالا حدثنا سفيان عن أبي الزناد ثم بهذا الإسناد نحوه .

حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثلي كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال : فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها) .

حدثني محمد بن حاتم حدثنا بن مهدي حدثنا سليم عن سعيد بن ميناء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

٢٤ – البخاري /ك الأنبياء / قول الله تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) حديث رقم ٣١٧٣

٢٥ – مسلم ج ٤ ص١٧٩١ حديث رقم ٢٢٨٣ – ٢٢٨٧ ، حديث رقم ٤٣٣٤

(مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي) [٢٦]

توضيح المثل

فهذا مثل شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

وهذا تشبيه جملة بجملة أي مثلي في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ، ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل .

قوله : (استوقد) أي أوقد ، وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلاتها .

(فجعل الفراش) المراد بالفراش دواب مثل البعوض ، واحدتها فراشة ، ويطلق على غوغاء الجراد الذي يكثر ويتراكم ، وقد شبه الله تعالى الناس في المحشر بالفراش المبثوث، أي في الكثرة والانتشار والإسراع إلى الداعي .

أركان التشبيه في الحديث :

المشبه : هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بعث فيهم والدنيا التي يغترون بها وبما فيها .

والمشبه به : هو هيئة رجل أوقد نارا استهوت الفراش فاندفع نحوها حتى أهلكها .

وجه الشبه : بين طرفي التشبيه : قال النووي : الجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز مما يؤدي إلى هلاكه .

وقال الغزالي ما مفاده : الجامع بينهما الاغترار والتزيين لكلٍّ ، فالخلق يأتونه قصداً للمنفعة ، والفراش يأتونه إعجابا بالضياء فتأتي الهلكة من حيث يتوقع المأمن .

ولهذا نجد الحق تبارك وتعالى يحذر من الاغترار بأي شيء يؤثر على ما يؤمر به الإنسان . فقال سبحانه (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)[٢٧] وقوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)[٢٩]

---

٢٦ – المصدر السابق حديث رقم ٤٣٣٥

٢٧ – من سورة فاطر / ٥ ٢٩– من آل عمران / ١٩٦ – ١٩٧

إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق) [٣٤].

إن المثل هو الصفة العجيبة الشأن يوردها البليغ على سبيل التشبيه لإرادة التقريب والتفهيم .

قوله (ما بعثني الله) العائد محذوف والتقدير : بعثني الله به إليكم .

قوله (أتى قوما) التنكير فيه للشيوع والتعميم .

قوله (بعيني) إشارة إلى تحقق جميع ما أخبر عنه تحقق من رأى شيئا بعينه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك .

---

٣٤ – مسلم / ك الفضائل / شفقته على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم حديث رقم ٤٣٣٣

توضيح المثل

قوله (إني أنا النذير العريان) هذا مثل .

وقد ذكر في سبب مورده أقوال عدة لا طائل تحتها .

والأصل فيه : أن رجلا لقي جيشا فسلبوه وأسروه ، فانفلت إلى قومه فقال : إني رأيت الجيش فسلبوني ، فرأوه عريانا فتحققوا من صدقه في دعواه ، لأنهم كانوا يعرفونه ، ولا يتهمونه في النصيحة ، ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن ، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ولمَا جاء به مثلا بذلك ، والقرائن على صدقه صلى الله عليه وسلم هي الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه .

قال ابن حجر : قلت ويؤيده ما أخرجه الرامهرمزي في الأمثال وهو عند أحمد بسند جيد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خرج النبي صلى الله عليه ذات يوم فنادى ثلاث مرات .....)

لعله يشير إلى الحديث المرفوع ، الذي أخرجه أحمد في مسنده من طريق أبي نعيم قال حدثنا بشير حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال : أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم ، فبعثوا رجلا يترايا لهم ، فبينما هم كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم ، وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر

قومه فأهوى بثوبه أيها الناس : أُتيتم . أيها الناس : أُتيتم . أيها الناس : أُتيتم . ثلاث مرار)[٣٥] .

والحديث قال عنه ابن حجر : سنده جيد .

وهو كما قال لأنه مرفوع متصل ورجاله ثقات ، غير أنه قيل في بشير صدوق لين الحديث رمي بالإرجاء ، وقد يكون هذا السبب في عدم إطلاق ابن حجر للتوثيق .

ثم قال : وأحسن ما فسر به الحديث من الحديث .

قوله : (فالنجاء النجاء) بالمد والقصر فيهما ، أو بالمد في الأولى والقصر في الثانية . وهو منصوب على الإغراء .

والمعنى : اطلبوا النجاء بأن تسرعوا هربا ، وفي هذا إشارة إلى عدم إطاقتهم لمقاومتهم الجيش .

قال الطيبي : في كلامه أنواع من التأكيدات .

أحدها (بعيني) ، ثانيها (وإني أنا النذير) ، وثالثها (العريان) لأنه الغاية في قرب العدو .

قوله : (فأطاعه طائفة) أي بعض القوم . و (كذبت طائفة)

قال الطيبي : عبر في الفرقة الأولى بالطاعة ، وفي الثانية بالتكذيب ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان .

والخلاصة أنه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه بالرجل ، وشبه إنذاره بالعذاب القريب ، وشبه من أطاعه من أمته ، ومن عصاه بمن صدق الرجل في إنذاره ومن كذبه .

---

٣٥ – مسند أحمد / حديث بريدة الأسلمي رقم ٢١٨٧٠

خاتمة

وبعد .

فهذه نماذج من الأمثلة التي ضربها النبي صلى الله عليه وسلم للجاحدين له ولرسالته ، والمصدقين به ، قطعا للأعذار ، وغلقا لباب الاحتجاج ، ولبيان مدى حرصه على أمته ورأفته بهم ، وهذه سنة الله في خلقه ، قال تعالى : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون) وذلك (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم) .

فليستعد المسلمون للقاء الله عز وجل بالإيمان به سبحانه وتعالى والتصديق بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في يوم لا تكلم فيه نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد . رزقنا الله والمسلمين صدق التوكل عليه سبحانه ، وحسن الاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٤ – مثله صلى الله عليه وسلم ومثل الدنيا

أخرج الترمذي في سننه قال حدثنا موسى بن عبد الرحمن الكندي حدثنا زيد بن حباب أخبرني المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : (نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال ما لي وما للدنيا ! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[٣٧] قال وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي المستدرك على الصحيحين

حدثنا علي بن حمشاذ العدل ثنا محمد بن غالب ثنا موسى بن إسماعيل ثنا ثابت بن يزيد ثنا هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثرَ من هذا ! . فقال : ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي . والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها) .هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وشاهده حديث عبد الله بن مسعود .

---

٣٧ – الترمذي ك الزهد / ما جاء في أخذ المال بحقه حديث ٢٢٩٩، المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوي جـ٤ ص٣٤٤ حديث رقم ٧٨٥٨

توضيح المثل

إن الدنيا محط الابتلاء والاختبار ، وحقٌ على المسلم ألا يغتر بزخارفها وما ذلك إلا لقلة متاعها مهما بدا للناظرين كثرته (قل متاع الدنيا قليل) ولزوالها مهما تصور المنخدعون بها دوامها ، فالمتكئ عليها يتهاوى عند أول استناد إليها ، فالعاقل لا يغتر بزينتها وإقبالها عليه ، ولا يبتأس بزوالها عنه ، ولا يفجع المبتلى فيها مهما طال اختباره ، (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) .آية ٣٦ من سورة الشورى

لذلك صورها النبي صلى الله عليه وسلم تصويرا محسوسا بما لا يدع مجالا لشك أي إنسان فيه .

و (لو) قد تكون للتمني وقد تكون شرطية .

والمعنى على التمني : يا ليتنا جعلنا لك شيئا تضعه تحتك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى الشرطية : لو اتخذنا لك بساطا وفراشا لينا يكرم جسدك لكان أحسن وأفضل .

فكان جوابه صلى الله عليه وسلم (ما لي وما للدنيا) .

وقد وجه العلماء معنى هذه الجملة تبعا لمعنى (ما) .

فمن جعلها نافية قال : ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا وليس لها ألفة ولا محبة معي فأطلبها وأحرص عليها .

ومن جعلها استفهامية قال : أيّ ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء من الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي وأنا أطلب الآخرة وهي ضرتها والمضادة لها .

واللام في (للدنيا) إما أن تكون عاطفة والمعنى : ما لي مع للدنيا وما للدنيا معي .

أركان التشبيه في الحديث

المشبه : حال كل إنسان مع الدنيا .

والمشبه به : حال الراكب المستظل تحت شجرة .

ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث .

والتشبيه بالراكب للسرعة الحاصلة إذْ لا يتصور راكب في محله واقف

والمتأمل في هذا التشبيه يعرف قيمة الدنيا وما فيها ، وبقدر تسخيرها للأنسان بقدر ما يجب تيقنه من غربته فيها ، ومصداق هذا ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وكان بن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك)[٣٨] .

واستشعار الإنسان بالغربة يزهده في المكان الذي حلّ به مهما كانت مظاهر البهجة والترف ، لأنه حتما منقول إلى وطنه ومستقره ، فلا يتعلق قلبه بغير موطنه ، بل يحرص على عدم حمل أغراض تثقل كاهله وترهق بدنه ، خاصة إذا عرف أن كل ما تميل إليه نفسه في هذا البلد الغريب ما هو إلا شبيه وتقليد للأشياء التي هيأت وأعدت له في موطنه ومستقره الذي سيؤول إليه . قال تعالى في معرض البشرى للمؤمنين وما أعده لهم من كل المتع والملذات (وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) من سورة البقرة آية ٢٥.

فليحرص المسلم الكيس على الباقي ، وليأخذ من الدنيا ما يعينه على ذلك بلا إسراف وتبذير ، ولا يضيق على نفسه فيعيش في ضنك وتقتير .

نسأل الله أن يجعلها في أيدينا ولا يجعلها في قلوبنا إنه نعم المولى ونعم النصير .

قال الرامهرمزي :

حدثنا أبي ثنا يعقوب بن سفيان الفسوي ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه ، عن النواس بن سمعان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتحة وعلى تلك الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا ومن فوق الصراط داع ينادي فمن راد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والستور حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعي القرآن والداعي من فوق واعظ الله) .

قال لنا أبو محمد :

---

٣٨ – البخاري / الرقاق / قول النبي صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حديث ٥٩٣٧

الصراط : الطريق ، والسور : الحائط يقال سرت الحائط وتسورته : إذا صرت في أعلاه .

وجنبتا الصراط : ناحيتاه ، والجمع جنبات ، والحد : المقدار .

والتناهي : الأمور الممنوع من تجاوزها كما قال الله عز وجل : (تلك حدود الله فلا تعتدوها) .

وأصل الحد : المنع ومنه ضرب الحد ، ومقدار منع الله من تجاوزه وحدود الدار هو المقدار.

والتناهي : الذي لا يتجاوزه صاحب الدار .

ويسمى البواب : حدادا لأنه يمنع من الدخول .

وتقول دون ذلك الأمر حدد أي مانع .

وهذا مثل في وضوح الحق وظهور معالم الإسلام لمن أراد قصدها وعدل عن طريق الشبَه والرَيب مفارقا لها .

وبيانه في حديث النعمان بن بشير : (الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبيْن ذلك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استترن منه وأعرضن عنه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي حول الحمى فيوشك أن يقع فيه ، ولكل ملك حمى وحمى الله محارمه) .

قال لنا أبو محمد :

الحمى : المكان المعشب الذي يمنع مالكه من تطرفه .

وقوله(فمن اتقى الشبهات استترن منه وأعرضن عنه) تشبيه تمثيلي .

ومعناه ترك الإنسان ما يريبه إلى ما لا يريبه وجعل الفعل للشبه على التوسعة .

ومثله في كلام العرب كثير قال الشاعر :

وفارقني قرين السوء لما رأيت الرشد فارقت القرينا

أراد جهل الشباب فأوجب له الفعل في حال ولنفسه في حال والجهل لا فعل له وإنما الفعل للجاهل .

حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ثنا عمي إبراهيم بن محمد الشافعي ثنا عبد الله بن رجاء المكي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك) .

وسمعت إبراهيم بن السري يحكي عن أبي عبيدة أنه قال :

رابني ، وأرابني بمعنى واحد .

وأنشدني محمد بن عطية السامي عن الزيادي :

يا قوم ما لي وأبا ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب

يشم عطفي ويبز ثوبـــــي ـــــي كأنما أربته بريب

قال الزيادي :

أتوته بمعنى أتيته ، ورُبته ، وأربته جميعا ، وربته وهو المعروف

ويقال أراب الرجل إذا ريبة

والريب أيضا : حادثة من حوادث الدهر .

والريب الشك وانشدنا وكيع :

دع ما يريبك وانتقل عنه إلى ما لا يريبك

واقنع بما رزق الإلـــه فليس تعدوا ما يصيبك

وليأتينك أين كنـــت موقرا منه نصيبك

حدثنا هارون بن يوسف ثنا ابن أبي عمر العدني ثنا مروان الفزاري عن جويبر عن الضحاك أو غيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينا أنا بين النائم واليقظان إذ أتاني ملكان فقال أحدهما إن له مثلا فاضرب له مثلا فقال سيد بني دارا وأعد مأدبة وبعث مناديا فالسيد الله والدار الجنة والمأدبة الإسلام والداعي محمد صلى الله عليه وسلم) ورواه يزيد بن هارون عن سليمان بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم نائما فأتاه ملكان فقال أحدهما العين نائمة وقال الآخر

راجع أمثال الحديث من ص ١٣ - ١٧